... في قيامة الموتى

للقديس أنبا أثرام السرياني

١٩٦٩

يوسف حبيب

فى قيامة الموتى[1]

... مغبوطة البلدة وسعيدة المدينة ، مغبوطة القبيلة التى فيها صديقون بكثرة ، والصديقون أنفسهم الذين يخلص بهم العالم مغبوطون لأن التطويبات معدة لهم ، فلنصلح أعمالنا ولنعمل بستير الصديقين لنرث معهم السعادة والفرح الدائم صائرين نوراً وقوة ومدينة للملك المعظم ليكون لنا فخراً لأن يده كافة أقطار الأرض وكما يقول المرنم : « يعطى الثلج كالصوف ويلقى الجليد مثل الفتات ، قدام وجه برده من يقوم ، يرسل كلمته فتذيبه ، تهب ريحه فتسيل المياة ... »[2] ، تأخذ منه الأرض نسيم العناية فتكتسى جمال بهائها بأمره ومثل إناء مذهب مرصع بالجواهر يطرب الناظرين إليه ، الطيور تطير مغردة صوتاً حسن النغمة طربة بالهواء ، ذوات الأربع معاً تركض فى المروج لأنه قد أينعت بقاع البرية والرعاة فى إبتهاج وسرور بمواهب الرب .

الأنهار تسير بسكون من ضغط المياة فتفرح المخلوقات المائية والحيتان تركض مسرورة بشروق الشمس ، الأشجار بدلا من

---

(١) من المقالة الثالثة والثلاثين بعد تنقيح وتصحيح كثير .

(٢) مزمور ١٤٧ وهو آخر مزامير صلاة النوم .

أن ينثر ورقها تكتسى بأزهارها وتتجلل بالورق وتحمل الثمر ، الجبال والآكام والأودية وكافة الأرض تشيد بمجد الرب لأنه وشاها بزينتها كالعروس - ونحن بنو البشر إذا مر الشتاء نفرح متمتعين بحسن اعتدال الأهوية وخصب الأثمار ، فلنصنع منذ الآن أثمار العدل الحسن قبولها عند الرب ليكون لنا دالة أمام البارى إذ يسر بأعمالنا لأنه بالحقيقة يسر الرب بالعاملين العدل . فلا يتفاخر أحد بعقله أو بقوته أو بثروته لأن هذه تجف كالزهر لكن المفتخر فليفتخر بالرب ..

ماذا يكون فى الناس معظماً أو مكرماً أكثر من التـــاج الملكى وهذا لن يدوم لإنسان لأنه جيلا بعد جيل ينتقل من رأس إلى رأس ، ماذا للملوك والرؤساء ولم يعطه الله ؟ أليس الرب نفسه صنع السماء والأرض وسائر البرايا التى فيها ، أما خلق الكل منذ أسس الأرض ، أى شىء لم يعطه . أنهم يسودون على الممتلكات والأسلحة والأموال ... ، لكن قل لى من خلق هذه كلها ... هو الرب يهز الأرض كورقة أو كعمود يسبح على الماء .

لنعرف ضعفنا فإذا رأينا عظاماً أو جمجمة لمن سبق رقادهم نتذهب ، كذلك عظامنا سيبصرها الذين بعدنا فيكتئبون لأن من هذا الطين بعينه خلقنا كلنا فإذ قد تقدمنا فعرفنا هذه يا إخوتى

فلنتواضع تحت يد الرب العزيزة ليرفعنا فى أوان التعهد ولنبغض السبح الباطل والتيه والجهل ولنهربن من الكبرياء فإن الله يناصبها ولنحب التواضع فنصير ودعاء فيعلمنا الرب طرقه ...

كم ماتوا منذ إنشاء العالم ؟ ، وكلهم ناموا على الأرض. ليس فرق بين عظام الملك وعظام الأسير ولا فضل للمقتنى مركبة لجامها مذهب على الساعى برجليه ولا للمغتذى بأطعمة فاخرة على الذى يعيش بالفقر ولا الجميل الصورة على قبيحها ... ينام الكل على التراب إلى أن يبوّق البوق المقدس فينهض الراقدون منذ الدهر لينال كل واحد منهم جزاء الأعمال التى عملها بجسده صالحة كانت أو طالحة .

عجب عظيم ! !

نشاهد بغتة القبور تنفتح بصوت البوق والموتى الراقدون ينهضون منذ آدم وإلى تلك الساعة فى أسرع من طرفة عين هكذا إذا قام الموتى غير بالين يقومون كلهم معاً . الملائكة يسرعون مع البوق العظيم فيجمعون الصديقين من الأربعة رياح من آفاق السماء وإلى آفاقها . ذلك الصوت يحيى الكل ولا يبقى من الناس أحداً فبعضهم يقوم إلى قيامة الحياة ومنهم إلى الدينونة ، فإذا سمعنا عن نهوض الموتى فلا نكذبن ذلك لأن كافة الأشياء ممكنة

لله وليس شىء غير ممكن له ، الذين طرحوا فى الأتون وغطاهم اللهيب حفظوا بغير مضرة ولم ينلهم بلى ، وإذ خرجوا من أتون النار وجدوا سالمين لم تحترق منهم شعرة واحدة ورائحة احتراق اللهيب المرتفع لم توجد ، هكذا إذا قام الموتى لايعتريهم البلى ، ليس العجب من أن شعرة منهم لاتهلك بل إن رائحة البلى لاتوجد بعد مدة زمان رقادهم لأن كافة الأشياء ممكنة لله ولن يصعب عليه شىء .

اسمع حزقيال النبى قائلا :

« وكانت على يد الرب فأخرجنى بروح وأنزلنى فى وسط البقعة وهى ملآنة عظاما ، وأمرنى عليها من حولها وإذا هى كثيرة جداً على وجه البقعة وإذا هى يابسة جداً ، فقال لى يا إبن آدم أتحيا هذه العظام ، فقلت : « أيها السيد الرب أنت تعلم » فقال لى تنبأ على هذه العظام وقل لها : « أيتها العظام اليابسة اسمعى كلمة الرب » .

هكذا قال السيد الرب لهذه العظام . هأنذا أدخل فيكم روحا فتحيون ، وأضع عليكم عصباً وأكسيكم لحماً وأبسط عليكم جلداً ، وأجعل فيكم روحا فتحيون وتعلمون انى أنا الرب ، فتنبأت كما أمرت وبينما أنا أتنبأ كان صوت وإذا رعش فتقاربت العظام كل

عظم إلى عظمه ، ونظرت وإذا بالعصب واللحم كساها وبسط الجلد عليها من فوق وليس فيها روح ، فقال لى تنبأ للروح تنبأ يا إبن آدم وقل للروح هكذا قال السيد الرب هلم يا روح من الرياح الأربع وهب على هؤلاء القتلى ليحيوا ، فتنبأت كما أمرنى فدخل فيهم الروح فحيوا وقاموا على أقدامهم جيش عظيم جداً جداً ، ثم قال لى يا إبن آدم هذه العظام هى كل بيت إسرائيل ، ها هم يقولون يبست عظامنا وهلك رجاؤنا ، قد انقطعنا ، لذلك تنبأ وقل لهم هكذا قال السيد الرب ، هأنذا أفتح قبوركم واصعدكم من قبوركم يا شعبى وآتى بكم إلى أرض إسرائيل ، فتعلمون أنى أنا الرب عند فتح قبوركم واصعادى إياكم من قبوركم يا شعبى . وأجعل روحى فيكم فتحيون وأجعلكم فى أرضكم فتعلمون إنى أنا الرب تكلمت وأفعل يقول الرب » حزقيال ٣٧ : ١ - ١٤ » .

ولما جاء ربنا وإلهنا يسوع المسيح قال بفمه الإلهى :

« لا تتعجبوا من هذا فإنه تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته ، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة » يو ٥ : ٢٨ ، ٢٩ .

كافة الأشياء ممكنة لله وليس شىء يصعب عليه إن كانت السموات أو الأرض أو لجة البحار أو الأعماق أو خليقة ما

أخرى فكلها فى يده ، كلها كلا شىء وليقنعك بذلك النبى القائل: « من كال بكفه المياه وقاس السموات بالشبر وكال بالكيل تراب الأرض ووزن الجبال بالقبان والآكام بالميزان » أش ٤٠ : ١٢ ، ويقول أيضاً : « هوذا الأمم كنقطة من دلو وكغبار الميزان تحسب ، هوذا الجزائر يرفعها كدقة .. كل الأمم كلا شىء قدامه من العدم والباطل تحسب عنده » أش ٤٠ : ١٥-١٧ . أما حبقوق النبى فيقول: « يارب قد سمعت خبرك فجزعت ، يارب عملك فى وسط السنين أحيه ، فى وسط السنين عرف ... » حبقوق ٣ : ٢ . والرسول بولس يقول : « فى لحظة فى طرفة عين عند البوق الأخير فإنه سيبوق فيقام الأموات عديمى فساد ونحن نتغير لأن هذا الفاسد لابد أن يلبس عدم فساد وهذا المائت يلبس عدم موت ، ومتى لبس هذا الفاسد عدم فساد ولبس هذا المائت عدم موت فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة ابتلع الموت إلى غلبة ، أين شوكتك يا موت ، أين غلبتك يا هاوية » ١كو ١٥ : ٥٣-٥٥ .

فمن أجل هذا لا يبكين المسكين ولا يستعظم الغنى ، ولا يحزن الضعيف ولا يتشامخ القوى ، ولا يغتم العبد ، ولا يفتخر المولى ، فإن الجميع من الأرض وفى التراب يسكنون ، إلى أن يحيى الرب الذى يحيى أجسامنا المائتة . فليفتخر الصديقون ويسروا بالرب .

حينئذ يفرح كافة الذين يوجدون أهلا لذلك الصوت المبارك .
تعالوا يا مباركى أبى رثوا الملك المعد لكم منذ إنشاء العالم ...
فاصبروا الآن ياصانعى العدل محتملين الاتعاب من أجل حق الله.
فإن تعب هذه الحياة الوقتية يمنحكم دالة جزيلة فى المستقبل ،
وضيقة هذا العالم الحاضر تصير لكم نياحاً وتعزية، والبكاء الآن
يسبب جلالا وفخراً لانه قد كتب مغبوط كل الصابرين ...
حينئذ يقول : « هوذا عبيدى يفرحون وأنتم تحزنون ، هوذا
عبيدى يترنمون من طيبة القلب وأنتم تصرخون من كآبة القلب
ومن انكسار الروح تولولون وتخلفون اسمكم لعنة لمختارى فيميتك
السيد الرب ويسمى عبيده اسما آخر ، فالذى يتبرك فى الارض
يتبرك بإله الحق والذى يحلف فى الأرض يحلف بإله الحق لأن
الضيقات الأولى قد نسيت ولأنها استترت عن عينى » أش ٦٥ :
١٣-١٦، ويقول أيضاً: «لانى هأنذا خالق سموات جديدة وأرضاً
جديدة فلا تذكر الأولى ولا تخطر على بال » أش ٦٥: ١٧ .

ويقول سفر الرؤيا :

« وستكون سماء جديدة وأرضاً جديدة ... وسيمسح الله
كل دمعة من عيونهم والموت لا يكون فى ما بعد ولا يكون حزن
ولا صراخ ولا وجع فى ما بعد لأن الأمور الأولى قد مضت »
رؤيا ٢١ : ١-٤ .

... أما أنا الخاطىء، وبذهنى التفكير فى أية خيرات أعدت
للصديقين وأى غضب أعد للخطاة وأرانى أتهاون بالأمرين كليهما
ولا أعرف لى عملا حسناً ...

أصرخ إليك أيها الرب الصالح والقادى اللهم أغفر لى أنا
الخاطىء. إن ذلك العشار كان واقفاً على قدميه مطرقاً إلى أسفل
ويقرع صدره متضرعاً ...

أما أنا بما أنى مفرط فى الخطايا انطرح على الأرض على
وجهى واضرب بجبهتى الأرض هاتفاً إليك أيها المتحنن والطاهر
والمرهوب اللهم اغفر لى أنا الخاطىء، غير المستحق فلا يكون لى
هذا دينونة انى اجترىء أن اسمى بلسانى النجس وشفتى الدنستين
اسمك الأقدس الفائق السبح إلى الدهور فلتصر لى الاستغاثة باسمك
إستنارة وقداسة للروح كرائحة البخور التى إذا أرتفعت تملأ
البيت ريحاً طيباً فأحرى بذكرك يارب وهو أحلى من الشهد أن
يملأ نفوس الذين يتوقون إليك بأمانة وقداسة وإستنارة .

أيها المخلص أعطنى شوقا إلى خلاصك مثل أرض ظامئة
منتظرة المطر لاصنع قبل الموت ثمراً لئلا أخزى فى يوم المجازاة.
ارحمنا كلنا بما أنك صالح . نفكر لصلاحك يارب لأننا كنا غير
مستحقين فأهلتنا أن نخدم اسمك الأقدس وأن نبسط أيدينا إليك

يا أبا الكل نجنا من كل فعـــل شيطاني واعط اسمك الأقدس مجداً يا رب .

أمنحنا أن نوجد كأرض جيدة صالحة لكيما إذا قبلنا بذارك نثمر مائة وستين وثلاثين . أعطنا يارب أن نتجر بالفضـة التي أعطيتنا إياها لكيما إذاً نقرب لك ثمر العدل ، امنحنا يارب أن نسهر ونستيقظ لاستقبالك منطقين أحقاء أذهاننا ومعنا مصابيح الفضائل غير منطفئة، منتظرين إياك يا إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح أهلنا يارب لاختطاف الصديقين فيمن يستقبلونك في السحب لئلا تختبر تلك الدينونة المرة فاقدة العزاء . بدد يا رب قبـــل الوفاة وسق خطايانا السابق حمله لئلا يكون لنا عائق في ساعة الاختطاف ويسحبنا من مصاف القديسين إلى النار التي لا تطفأ، فالعدل هو جناح يحمل الصديقين من الأرض إلى السموات . نعمتك يارب فلتصر لنا قوة ولتأخذنا في السحب مع الصديقين المختارين إلى لقائك . يا ملك الكل لنستقبلنا الملائكة القديسون بفرح وبوجه باش ولنسجد أمام عرش مجدك ونعاين المجد الذي لا يوصف فإذا استوعبنا نعمة نهتف ، المجد لمن ألبس الأذلاء البالين مجداً وعدم بلى ، المجد لمن أعطى المائتين عدم الموت ، المجد لمن نجانا من فم الأسد العدو المفسد وجعلنا وارثين للملكة

السمائي ، أصل كل الخيرات ، النور الذي لا يقبعه ليل ، السرور الذي لا يوصف والذي لا يشوبه حزن أو ألم حيث يهرب الوجع والغم والتنهد . منذ الآن نكون مع الرب دائماً هذه هي أصوات الصديقين والقديسين والنساك والمختارين في ورودهم وجماعة الذين استرضوا الإله الرحوم بالتوبة .

يا أحبائي لنفق ولنصغ إلى ذواتنا لنستوطن مع الصديقين ولا ينزع أحد سرورنا مسبحين ومباركين وساجدين للثالوث الأقدس والطاهر والمساوي بالجوهر إلى أبد الدهور .

† † †

عظة على مجيء ربنا

يسوع المسيح الثانى [1]

يا بنى النور تقدموا وهلموا اسمعوا صوت مخلصنا الصوت المغبوط المبارك الهاتف إليكم تعالوا يا مباركى أبى رئوا الملك المعد لكم - ملك السموات - فاحذروا يا اخوتى أن يعدم أحدكم هذا الميراث السعيد فإنه ها هو على الأبواب ، أن النور نزل إلينا فأنارنا وأدنانا إليه وأصعدنا معه فإذ نزل إلينا صار من أجلنا مثلنا ليجعلنا مثله . من لايموت نزل إلى المائتين وحين جعلهم غير مائتين صعد إلى الآب وسيجىء بمجد أبيه المبارك يدين الأحياء والموتى ، صار لنا طريق حياة مملوءة نوراً ومجداً لنسلك نحن فى النور إلى الآب . تعالوا يا أحبائى فلنسلك فى الطريق التى أظهرها لنا الرب لنصل بسرور إلى مملكته ولنأخذ زاداً وزيتاً فى أوعيتنا ، فليست الطريق قصيرة فلنشد أحقاءنا بالحق ومثل أناس وعبيد حافظين منتظرين سيدهم نوقد مصابيحنا لنستقبل ربنا من السموات مقبلا فلا نغفل فيما بعد لئلا تنطفىء مصابيحنا قد وافى النور فولى الليل وأتى النهار ، يا بنى النور بادروا إلى

(١) من المقالة الحادية والعشرين .

النور اخرجوا بفرح إلى استقبال ربكم أروه فضائلكم ونسككم وحيتكم ، سهركم وأتعابكم دموعكم وترك القنية . لا ترقدوا ولا ينظر أحد منكم إلى الرذائل التى وراء . بل لتنظر إلى ذلك الجمال السمائى إلى فوق متأملا ذلك الجمال والسرور . يا وارثى الملكوت . ان هذه النعم قد وهبها الله لنا فماذا نكافئه . فلنطرح عنا كل اهتمام هذا الدهر ولنخدمه وحده بحرص عظيم ونشاط جزيل ، فها يومه بالحقيقة قرب وروده بالتأكيد قد حان . هلموا إذن يا إخوتى لنيقظ منتظرين ربنا الختن السمائى الذى لايموت ، عندما يشرق وتكون تلك الصرخة التى تنطلق بغتة ، ها الختن قادم فاخرجوا إلى استقباله أنتم الذين احببتموه وأعددتم ذواتكم لمعاينته فى مجده لأن كافة الذين اشتاقوا إليه يفرحهم فى ملكوته الأبدى المنير البهى بالأفراح التى لاتوصف .

إحذروا يا إخوتى إذا صار ذلك أن يكون أحدكم مصباحه مظلماً لا زيت فيه أو لابساً ثياباً بالية قذرة فيدان ويحكم عليه بالظلمة البرانية وبذلك العقاب الدهرى حيث البكاء وصرير الأسنان . لتحذر يا أحبائى فإننا لا نعلم متى يجىء ربنا لأنه كالسارق فى الليل ومثل الفخ يوافى ذلك اليوم وكبرق خاطف هكذا يكون حضور الرب . لأنه عند سماع البوق تتزعزع الأرض من

أساساتها وترتعد السموات مع قواتها والموتى يقومون كلهم .
يا أحبائى من لايلومه قلبه فى تلك الساعة ... انى أظن أن كل نسمة ترتعد فى تلك الساعة لكن نعمة الله تقوى وتفرح قلوب الصديقين فيختطفون فى السحب إلى استقباله . **اما المضطجعون والعاجزون الذين يشبهونني** فيلبثون على الأرض مرتعدين . فلنخفف ذواتنا يا اخوتى من الأرض قليلا لنرتقى بسهولة إلى السماء . ماذا ينفعنا العالم الذى قيدنا بهمومه . أم ماذا نربح من الانصراف إلى تزيين الثياب سوى نار لا تطفأ أو تعدد أنواع الأغذية والتنعم سوى تعذيب مؤبد . إعرفوا أننا بالتأكيد إن لم نجاهد فى هذا الزمان القصير فإننا نعذب هناك إلى أبد الدهر .

يا إخوتى لِمَ نتوانى ولم نضطجع لماذا لا نفدى أنفسنا ويوم الرب يقترب منا ، لِمَ لا نطرح عنا كل اهتمام غير نافع ونخفف ذواتنا من ثقل الأمور الأرضية . أما عرفتم أن البـــاب ضيق ولا يستطيع الجزيل القنية أن يدخل منه بل من لم تغريهم قنيـة الذين قد اختاروا الباب الضيق لذواتهم باختيارهم النسك والتعب والذين أعدوا ذواتهم لمعاينة الختن السمائى الباقى فى بجده ، ويورثهم ملك السموات . . . يدعو كل واحد باسمه ويتكئه فى طغمة القديسين المتصرفين فى النور الذى لايوصف فى الحياة الأبدية .

لنحرص إذن يا إخوتى فى هذا الزمان اليسير . لنيقظ هنا لئلا نندب إلى الدهور التى لا نهاية لها حيث لا تنفع الدموع والزفرات وحيث لا توبة . إن حرصكم يسر به الملائكة ورؤساء الملائكة وتوانيكم يفرح به العدو . . . لك أخشو ساجداً أيها الرب يسوع المسيح إن الله الحى أعطى ولكافة الذين يحبونك أن تعاينك بمجد فى ملكك وترث مع كافة الذين أحبوك وتاقوا إليك . يا أحبائى إن توانينا وإضطجعنا فى هذا الزمان اليسير فلا تكون لنا دالة فى ذلك اليوم الرهيب . لاننا لا نجد حجة عن خطايانا لأنه منذ إنحدر إلينا ربنا وخلصنا إنتزع كل حجة . لأنه وهب لنا حين جاء الحياة الأبدية . كنا أعداء فصالحنا ، وأرضيين فصرنا سمائيين ، ومائتين فحطنا غير مائتين . وبنى الظلمة فصيرنا بنى النور ، كنا مأسورين ففدانا ، وعبيداً للخطية فرحنا وحررنا ، كنا مساكين فصيرنا أغنياء ، كنا ضائعين فوجدنا ... كنا خطاة فخلصنا ، كنا تراباً ورماداً فصرنا بنين ، كنا عـراة فسترنا وصرنا وارثين للملكوت . هذه النعم قد وهبها لنا ربنا فماذا نكافئه يا أحبائى هلموا فلنطرح عنا كل اهتمام باطل ونخدمه بحرص عظيم ونشاط كبير ...

أيها المسيح حياتى خلصنى أنا الخاطىء فى ملكك . إن لسانى

يتعب فى تلاوة التمجيد ، لا تجازنى نظير أعمـــالى بل خلصنى بنعمتك وتراءف على بتحننك فإنك أنت هو المبارك والممجد إلى الدهور آمين .

† † †

اسرع باقتناء :

١ ــ كتاب شرح حساب الكنيسة القبطية

تأليف : مليكه حبيب يوسف ويوسف حبيب

٢ ــ القديس ساويرس البطريرك الانطاكى .